

بين السياسة والعقيدة وتطبيقات على القضية الكردية بقلم: صلاح شوان

اجمع الساسة والخبراء والدارسون المختصون في حقل السياسة على انها (فن الممكنات)، ولم يعترض على هذا التعريف حتى الجهلاء والمغفلين -

وهي تعني اول ماتعنيه انها (فن) وليس علما او اي شئ اخر، والفن كما هو معروف قابل للنظر اليه من زوايا مختلفة وحسب المواقف المختلفة للناظرين، والسياسة بحسب ذلك المفهوم تكون غير قابلة للخطأ والصواب، كما لا تحتاج الى برهان بالتحليلات المختبرية لاثبات منفيتها او مثبتيتها، انما التحليل ان وجد يجب ان يكون لتفسيرها واستخلاص المعطيات الايجابية والسلبية منها. ولا يمكن هنا انكار الكم الهائل من شبيهه السياسة المحسوبة عليها حتى بعد تثبيت هذا المفهوم المعاصر، قصورا في فهم هذه الحقيقة ام استغفالا للمغفلين، وخاصة في القرن الماضي، واكثر تحديدا بعد انتشار الفلسفة الماركسية في العالم، فاتباع هذه الفلسفة كانوا وما زالوا يخلطون بين السياسة والعقيدة خلطا غيبيا من قبل الاغبياء الجهلة من جانب، وخطا منافقا مخادعا من قبل الشطار منهم من الجانب الاخر، بل انهم يخلطون الفلسفة ايضا بالعلم كخط السياسة بالعلم بكل فرقاءهم، فالفلسفة يمكن ان تعتمد على العلم للاقتناع والاثبات كما يمكن للدين والفن والرياضة والادب وحتى السحر والشعوذة ان تعتمد على العلم فيما تسعفه لاثبات صلاحيتها وجدواه وعقلانيته، لكنها لن تتحول بذلك الى علم مسلم بها لا تخضع لاختلاف وجهات النظر ك(2=1+1)، فحتى هذه العملية الحسابية المسلم بها ستتغير نتائجها في السياسة والفلسفة: في السياسة كما في الفلسفة والفن والدين وغيرها يمكن ان يكون (1=1+1)، كمثل اتحاد حزبين او بلدين او شركتين في حزب او بلد او شركة او كيان (واحد)، وفي الفلسفة كذلك يمكن ان تكون نتيجة اتحاد رجل وامرأة يساوي 3 او 4 او اكثر حسب الاطفال الذين ينجبونهما، فهما اثنان والطفل الاول ثالثهما والطفل الثاني رابعهما وهكذا، هذه فلسفة او سياسة، وذلك علم، والخلط بينهما محض افتراء وهراء، ومن اعنى هذه الافتراءات هي الافتراءات الماركسية التي ادعت العلم وهي فلسفة اعتمدت نظريات ادت بها الى نتائج مضادة لما كانت قد استخلصتها منها، فالواقع والواقعية والحمية التاريخية وزوال الراسمالية والكثير غيرها من مفاهيم هذه الفلسفة اثبت هذه المفاهيم بنفسها خطأ هذه الفلسفة! وتلك هي الطامة الكبرى، فالفلسفة التي تختار الاسس التي تؤكد خطأها انما هي فلسفة فاشلة ولاشك، ومن اسوء الامثلة لذلك كما اسلفنا الفلسفة الماركسية! فهي تبنت الواقعية والواقع خذلها واتجه بعكس ما اكدت الماركسية عليها من زوال الاسرة وسيادة الطبقة العاملة وعمامة الشعب من الاميين والجهلاء والرعاع، واكدت كذلك على زوال الراسماليات في الانتاج والاقتصاد، وكانت النتيجة ان الراسمالية هزمت الدول المتبينة لهذه الفلسفة في عقر دارها، ونمت الراسمالية وتطورت بحيث استوعبت كل قوى العاملة وهيات لها مطالبها الاقتصادية في قلب العالم الراسمالي كمثل النرويج التي تنصدر العالم للسنة الرابعة في الرفاه والرعاية الاجتماعية بحسب تقارير اليونسكو، بعكس العالم الاشتراكي الذي سحق الطبقة العاملة مع الراسمال لحساب تضخم الدولة الدكتاتوري الشمولي القمعي الارهابي الوحشي التي انفجرت بسبب من تضخمها الفارغ وهزالها وخوانها السياسي والفكري وفشلها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعلمي والقانوني والفني... الخ، وكانت هذه هي الحتمية التاريخية عكس ما دعت الماركسية بها وبنت خيالاتها الغيبية الغبية عليها بصورة معكوسة، وتخلف الدول العالم الاشتراكي بعد تجربة نصف قرن، وفشل ستراتييجياتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية هي الاساس في انهيار الاتحاد السوفيتي والمعسكر الاشتراكي -

وقد حتمت السياسة كفن على الصين ان تتنازل عن عقاندها الماركسية الفولاذية لتتبنى سياسة السوق المفتوحة وتعديل نهجها الماركسي - الماوي في الاقتصاد والعلاقات السياسية الخارجية والاجتماع والميادين الحياتية الاخرى ومنها الزراعة التي كانت الاساس الواسس لها، مع الاحتفاظ بنفس الاساليب القمعية في الداخل. ولا يخفى على احد مدى الضرر الذي لحق بمجتمعات حية وفاعلة في الحضارة الانسانية مثل الشعب الروسي والصيني جراء تبنيها للفلسفة الماركسية الفاشلة التي قامت على اساس العقيدة وليست السياسة، التي حولتها من اسس للتطور والتقدم الى اسباب للتخلف ومن ثم الموت الزؤام -

ورسوخ العقيدة مهما تكن اهميتها المرحلية تؤدي الى التخلف بعد تجاوز الزمن لها، وليس ثمة عقيدة صالحة لكل الازمان قط، فالاسلام خير نموذج لما نقول: ادت العقيدة الاسلامية الى نمو الشعب العربي المنبثق من الجزيرة

العربية وتطوره بشكل مضطرب بحيث استطاع غزو مايقارب نصف العالم، واستغلت كل امكانيات الشعوب المحتلة لصالحه، ورغم جبروت هذه العقيدة و عنفها بسبب انبثاقها من تراث صحراوي عنيف يحتم التصارع حتى الموت من اجل لقمة العيش لشحة مواردها، لكنها لم تستطع الاستمرار على الحفاظ على مصالحها حتى في اوج ازدهارها وانتشارها وقوتها بسبب تجاوزو الزمن لمفاهيمها الاولى، فبدات بالتقلص والانهيار وتغكيك احتلالها على الشعوب الحية المتطورة المبادرة، واكتفت بالاستمرار على حكم الشعوب المتخاذلة او المتخلفة او المتهارة التي فقدت ذاكرتها الجماعية وتهجنت ثقافتها الاصلية وتراثها الانساني، فاصبحت شعوبا لا دور لها لحد اليوم في هذا العالم المتحضر، ومنها الشعب الكردي -

الاسلام والماركسية هما اوضح نموذنين لسيادة العقيدة على حساب السياسة التي هي في جوهرها عملية وبنفعية، وقد ابتلى الشعب الكردي بكلا الدائنين شر ابتلاء -

ولكيلا تختلط الامور على البعض في ثنائية السياسة والعقيدة نقول: نحن لا ندعو الى نبذ الدين او العقيدة او التراث الاصيل للشعوب، لكننا نؤكد ان العمل بها في السياسة تخلف، وتبني المستورد منها ليحل محل الاصيل عمالة فالشعب الكردي حين تبني الاسلام ضحى بكل مصالحه ومقدراته وحاضره ومستقبله وماضية من اجل الاسلام وحياتة الذي لم يحل عليه بالاقناع او التفاهم، بل كان ومايزال احتلالا وتقتيلا وتشويها بحد السيف اولا وبحد الاسلحة الكيماوية اخيرا، والاية القرآنية المسماة بـ (الانفال) التي طبقت بحق الكرد مرتين، مرة على يد عمر بن خطاب ومرة على يد صدام حسين، هي خير مثال لما يقال (ادبتك من لسانك). لكن الكرد بقي وسيبقى مسلما متمسكا بعقيدة محتلته حتى اكثر من القرشيين انفسهم ، على شاكلة المقولة (اكثر ملكية من الملك) وصلاح الدين الايوبي اوضح مثال على ذلك! فلا ترى حتى الملحد منهم من يتقوه بالقاء الجريمة على هذه الاية المحرصة على اباداة الجنس الكردي، حتى لو طبق بحقة الف مرة! بل بالعكس تماما، فالكردي المدافع عن شرفه وعرضه وارضه كردي كافر يستوجب قتله، والكردي الممسوخ عقيدة ولسانا وتراثا، والخؤون لامته واجداده واخوته وارضه، كردي صالح مبشر بالجنة في حياة الدنيا والاخرة! والموضوع يمكن ان يطول الى ما لا يشاوه الله ان استمررنا في الامثلة وتناول شتى جوانبه، لذا سنكتفي بالقول ان الكرد الاصلاء ممن حافظوا على دينهم وتراثهم واخلصهم لامتهم اصبحوا منبوذين قذرين في نظر الاكثرية الخائنة، والايديويون والكاكانييون مثال حي لما نقول

والشعب الكردي حين انتمى الى الماركسية بدأ اول ما بدأ بالاستهزاء بلغته الكردية التي يتحدث بها، فكلمة (روزباش - اي صباح الخير) اصبحت رمزا للعمالة لسي أي أي! ومحط تهكم الشيوعيين، وكان على الكردي التقدمي - حسب تصنيفهم الذي كان على نمط تسمية البدين بهيفاء والاعمى ببصير - ان يقول (سلام) شعار الاتحاد السوفييتي المقلوب لحقيقته الحربية في احتلال الشعوب، وتحية اهل الجنة التي لا توجد الا في الاحلام النهارية لدى المسلمين، وتوحدت ثقافتنا الغزو الكولونيالي الاسلامي والامبريالي الماركسي على تشويه الاصاله الكردية من حيث يدرون او لا يدرون، والكردي الماركسي اليوم اشد الماركسيين تمسكا بالماركسية حتى اكثر من الالمان شعب كارل ماركس نفسه، ومن اليهود مداييني كارل ماركس، والروس اول المطبقين للفلسفة الماركسية، وكاسترو اخر الملتزمين بها... فالكردي اليوم يعادي الشعب الروسي لتركه تلك الفلسفة لحال سبيلها، وينتقد الكردي الماركسي الصين الشعبية لانحرافها عن طريق ماوتسي تونغ وهو منهم وهم منه! كذلك الصفحات تطول وتعرض لو تطرقا الى الالاف المؤلفة من هذه العجائب والغرائب الكردية -

رغم كل ذلك فالكرد لا يعرفون لا شيئا عن الاسلام ولا عن الماركسية، فقد صادقت العديد من القيادات الماركسية الكردية ولم اري بينهم من قرأ راسمال كما قرأته في شبابي، كما ان 99% من الكرد لا يعرفون العربية ناهيك عن امكانية قراءة القرآن او فهمه، فهم يتبعون تابعي التابعين الالفي او المليونني لا يهم، و99% منهم لا يقرأ كلمة واحدة من الصلاة او الادعية بصورة صحيحة!؟

وبالطبع ليس غريبا والحالة هذه ان لا يعرف هؤلاء الموهومون المعنى والمغزى الحقيقي للسياسة، ويتوهموا انفسهم كأعتى الساسة في الكون وهم منها براء، فالاسلاميون الكرد يتبنون المفاهيم الاسلامية التي اعتمدت قبل 16 قرنا في احتلال الشعوب واستعبادها باسم الله ومنها شعبهم هم، ويعتقدون ان اعادة الشعب الكردي الى العبودية الاسلامية الاولى ممكنة في القرن الحادي والعشرين، لانهم لا يعرفون ان هذا القرن قد حل، فهم قد توقعوا عن اللحاق بالزمن منذ تلك القرون الستة عشر، وهم والحالة هذه لا يمكنهم التمييز او التفريق بين السياسة والدين، القطبين اللذين بينهما برزخ لا يلتقيان قط الا عند المغفلين، او لاستغلال المغفلين عند الشطار المخادعين، فالدين روعي خيالي لا يستمد من واقع اليوم مثقال ذرة خيرا او شرا، لانه استمد اساسه ووجوده من الاوهام وخيال الانسان القديم في تلك الحقبة التي كانت البشرية شبه حيوانية وبدأت للتو في التفكير والتأمل في وجودها على الارض دون ان تكون في متناولها اية اساس علمية او عقلانية، ولا داعي هنا للاسهاب في توضيح مثل هذه الامور اكثر من ذلك لسبب بسيط: فالانسان المؤمن بالتطور البشري يعرف ذلك بكل بساطة ووضوح ويمكنه ان يضيف

منات بل الاف الادلة الى ما ذكرنا، والمؤمن بالاسلام لا يمكنه فهم كلمة مما اسلفنا لانه ينتمي الى تلك القرون البائدة عقلا وعقيدة وتفكيرا وممارسة، ولا تفيد معه البراهين والامثلة والحجج مهما كانت، فالمفاهيم العلمية والتكنولوجية والحضارية وغيرها لاتعني له شيئا مادام يحكم عليها بعقلية كتاب وتعليمات وسنن تعود الى 16 قرنا خلت فاكل الدهر عليها وشرب وتقيا وتبول وتبرز. والسياسة عندهم ان ينزل الله ليحكم بنفسه من خالهم هم، ويعينهم في المناصب التالية لجلالته! او هكذا يصورون السياسة للمغفلين الذين يصدقون خرافاتهم الخيالية البدائية المتخلفة، وما على الاخرين الا الطاعة والرضوخ لهؤلاء الاقرباء والاصدقاء والاتباع لله الذي يجب ان نعبده دون اي تفكير او مناقشة او اعتراض او حق! فاين الفن في هذا؟ وما هو الممكنات وغير الممكنات فيه؟! وكيف يمكن الجمع بين هذه الترهات وبين احترام الرأي وصناديق الاقتراع والحرية الفردية في الحياة والاسلوب والتفكير والملبس والمشرب وغيرها مما يؤكد عليها الاعلان العالمي لحقوق الانسان؟

الدين كنموذج قديم للعقيدة يجبر المغفلين الذين يصدقون به بالترهيب والترغيب الغيبي، فلا يترك للساذج ان يحكم عقله ومصالحه في الانتماء او عدم الانتماء، فالجنة والحجيم عوالم اشبه بافلام كارتون في الذاكرة الجماعية للبشر، ومثلما لا يمكننا اقتناع الاطفال بان ميكي ماوس لا يوجد لا على الارض ولا تحتها ولا في السماء، كذلك لايمكن اقتناع الافراد والجماعات من ذوي العقليات الذين ينتمون الى مراحل الطفولة البشرية بان الله والملائكة والجنة والحجيم والى اخره لا توجد الا في مخيلاتهم غير المستوعبة للتطور العلمي بعد، حتى لو كان عالما في الذرة مثلا، فالافراد والجماعات لا تتطور بشل جماعي، بل الفروقات تتزايد باستمرار بين المتطور والمتخلف، وما نراه من فروق شاسعة بين المجموعات البشرية اليوم خير دليل على ذلك، ففي بعد بضعة الالف من الاميال فقط من قاعدة اطلاق الصواريخ الى الفضاء الخارجي يعيش مجموعات من البشر لا يستخدمون الا ماكان يستخدم قبل الف سنة او اكثر، لا الكهرباء ولا الالة ولا التكنولوجيا، وفي الضفة المقابلة لهذه القارة توجد مجموعات بشرية تأكل لحد اليوم لحوم بني جلتهم من البشر، اي يعيشون في الالفيات الخمسية الغابرة او اكثر، وانهم لايعرفون حتى الله من معنى، وفي قلب العاصمة الهندية مازال هناك من يعبد البقر وغير البقر، فلماذا يجب ان نستقرب من يعبد ما في خياله او يعبد من كتب كتابا قيما في الفلسفة او الاجتماع او في مناحي الحياة المختلفة مثل كارل ماركس او محمد او غيرها -؟

فالعقيدة عقيدة سواء اكان عبادة بقر او ماسماه محمد بالله او ما سماه لينين بالماركسية وغيرها، والعقيدة تبقى ثابتة سكونية مطلقة لا تتغير مع المتغيرات ولا تتكيف مع التقدم والتطور الحضاريين وهي لذلك تدعي الهية او الحتمية او الابدية في عالم لا يبقى على شئ قط دون تغيير: البقر بقر لا يمكن لاتباع تلك العقيدة ان يؤمنوا باكل لحم البقر ماظلوا على عقيدتهم، والاسلام بقر من نوع اخر بكل مقدساته لدى من يؤمن به ولا يمكن ان يعتبره احدهم غير مقدس ومجرد مرحلة من التطور البشري لا يصلح الالزامه، كذلك الماركسية بقر تستمد قدسيتها من نظريات كتاب (راسمال) وما جاء به من الحتمية التاريخية في تبوء الطبقة العاملة لقيادة البشرية التي اثبت التاريخ والتجربة والواقع بطلانه وخطأوه، لكن الماركسي لا يمكنه الاقتناع بهذه الحقيقة الساطعة مابقي على عقيدته وبموجب هذه الحقائق تصبح العقيدة نقيض السياسة، والمصيبة تكمن في هذه المفارقة، اذ ان استخدام الشئ لتحقيق نقيضه لا يمكن الا ان يؤدي الى المأساة... كما نرى ماتؤدي اليها العقائد من مهازل مأساوية، على يد الاسلاميين اليوم، وهي نسخة معدلة مما ادت اليها الماركسية بالامس القريب -

والامة الكردية اليوم لاتمتلك مقدسات غيبية اصيلة من صلبها، وكل مقدساتها مادية نفعية انسانية حضارية من ارض وشعب واقتصاد وتاريخ وغيرها، وهي ما تؤهلها لتبوء دورها الريادي في انشاء عالم جديد، لكن المصيبة ان هذه الامة تبنت المقدسات الغيبية من اعداءها العرب الاسلامي المحتل والماركسية المعادية لتحقيق ارادتها القومية. لذلك نرى ان السياسة بمفهومها العصري المتطور معدومة لحد اليوم عند الامة الكردية، ولا يلاحظ في اتجاهاتها السياسية اية شريحة تمارس السياسة بطريقة عصرية متقدمة، بل ان معظمها تقليد لحركات سابقة حكم الواقع عليها بالفشل -
للموضوع صلة -